د. شاكر النابلسي *

التحالف الإيراني - الإسرائيلي الخفي

1- لماذا تحرص أميركا في عهد إدارة الرئيس أوباما على التهدئة والحوار مع إيران؟ ولماذا يوجّه الرئيس أوباما، رسالة فيديو مسجلة إلى الشعب والنظام الإيراني يوم 2009/3/20 بمناسبة «عيد النيروز» أو رأس السنة الإيرانية، (وهي الذكرى السادسة لغزو العراق)، يؤكد فيها التزام إدارته الدبلوماسية، والسعي لإقامة علاقات بنّاءة بين الولايات المتحدة وإيران والأسرة الدولية؟

وكانت كلمات أوباما الدافئة تقول لإيران في مناسبة هذا العيد: «إن هذه المناسبة تقليد قديم بلحظة تجديد».

وتحدث أوباما خلال رسالته إلى إيران، عن الدور الثقافي الإيراني عبر القرون، لافتاً إلى مساهمات الإيرانيين الأميركيين، في تعزيز المجتمع الأميركي، فهل لأن إيران الآن، برأي بعض المعلقين، أكثر المجتمعات الشرق أوسطية ديناميكية وقوة؟

يقول روجر كوهين الكاتب في الشؤون الدولية في صحيفة «الإنترناشيونال هيرالد تريبون» في مقاله «إيران واليهود والبراغماتية»:

لدى أميركا مصلحة قوية في إقامة علاقات مع أكثر المجتمعات ديناميكية في المنطقة، وأكبر ما يخشاه الأوتوقراطيون من الخليج إلى القاهرة، هو إحراز تقدم في العلاقات الإيرانية - الأميركية، لأنه سيزعزع استقرار جميع العلاقات الإقليمية الثابتة والحميمة، بما فيها علاقة واشنطن بإسرائيل.

2- من المعروف أن إيران تضمُّ الآن أكبر عدد من اليهود «25 ألف يهودي» في الشرق الأوسط المسلم- وربما كان في المغرب هذا العدد أيضاً، أو يزيد- في دولة تطلق الآن، أكثر الخطب التهديدية اللاذعة ضد إسرائيل.

وما أصاب ما يزيد على مليوني مسلم «شيعة وسُنَّة» فروا من إيران منذ 1979، نتيجة عذابات وأحكام بالإعدام، دفعت بهم إلى الهجرة، أصاب كذلك ضحايا الثورة الخمينية من اليهود.

ويقول روجر كوهين في مقاله السابق الذكر، إنه من المستحيل معرفة مدى القمع، الذي يتعرض له يهود إيران، حيث إن المجتمع الإيراني غير حر، ولكن الأمر الأوضح، أن قضية الصقور ضد إيران، تعتمد على رؤية لنظام رهيب- من دون الشعور بقصوره- معادٍ للسامية بصورة محمومة لدرجة أنه سيقبل بإبادة نووية حتمية، إذا كانت من الممكن أن تدمر إسرائيل أولا. وهذا يبرز بشكل واضح في خطابات أحمدي نجاد ضد إسرائيل وضرورة إزالتها من خارطة العالم.

ويتحدث كوهين عن مدى المرونة والبراغماتية التي تتميز بها القيادة الإيرانية في الماضي والحاضر، قائلاً: «أعتقد أن البراغماتية الإيرانية، التي تعرف أن قوتها تكمن في التصميم على بقاء الثورة. لقد أدت البراغماتية الإيرانية إلى التعاون مع إسرائيل في أيام الحرب الباردة، وأنهت حرب العراق، وتجنبت غزو أفغانستان عام 1998، عندما قُتل دبلوماسيون إيرانيون هناك؛ وحققت تعاوناً مع أميركا بعد أحداث 11 سبتمبر (أيلول) في قضية أفغانستان. وتوضّح حركة المد والجزر الليبرالي منذ عام 1979، مدى أهمية وجود اليهود فيها».

3- كانت علاقة إسرائيل مع إيران وثيقة للغاية، ومتجذِّرة في النسيج الاجتماعي للشعبين الإيراني واليهودي، وظلت هذه العلاقة وثيقة حتى بعد قيام الثورة الخمينية 1979. وفي ذلك الوقت، كانت طهران تبدو طبيعية في علاقاتها مع العالم، ولكن بعد ثلاثين سنة، أصبحت طهران في نظر الإسرائيليين والأميركيين دولة إرهابية، يجب التعامل معها عسكرياً وبالقوة، وليس كما يريد الرئيس أوباما في هذه الأيام.

وفي بداية الخمسينيات، كان بن غوريون مؤسس الدولة الإسرائيلية، يسعى إلى أن تحوز إسرائيل الحظوة المتناهية لأميركا، وأن تظهر لأميركا على أنها الشريك المخلص للمصالح الأميركية في المنطقة، ولكن موقف الرئيس إيزنهاور في تلك الحقبة كان مختلفاً، وكان يريد أن تكون علاقات أميركا مع دول الشرق الأوسط علاقات مباشرة، وتدافع عن مصالحها في الشرق الأوسط بنفسها، دون وسيط، ودون مساعدة إسرائيل.

4- وتجاه هذا الموقف الأميركي، اتجهت إسرائيل في عهد شاه إيران السابق إلى إيران، من أجل تكوين توازن مقابل ثقل الدول العربية، وتعاونت إسرائيل مع الشاه، كما يُبيّن بوضوح تريتا بارسي رئيس «المجلس الوطني الأميركي-الإيراني» في كتابه (التحالف الخائن Treacherous Alliance) الذي صدر عن جامعة «ييل» الأميركية عام 2007. وفي هذا الكتاب يشرح بارسي طبيعة التحالف والتعاون العسكري الخفي غير المعلن بين نظام الشاه وإسرائيل، وتعاونهما في تدريب ودعم العناصر المتمردة في الشرق الأوسط، خاصة بعد فوز اليمين الإسرائيلي بزعامة مناحيم بيغن عام 1977، والذي أدرك أن السلام مع العرب مستحيل. فتابع بيغن ما بدأه بن غوريون- كما نرى بعد قليل- بخصوص تحالف الأقليات في الشرق الأوسط، وبدأ هذه الخطوة بغزو لبنان 1982، وإخراج منظمة التحرير وسورية من لبنان، ومحاولة تنصيب المسيحيين المارونيين كخطوة نحو استقلال وتعزيز الأقليات في الشرق الأوسط. ولكن جاءت الرياح بما لا تشتهي السفن، فلم يتم تنصيب المسيحيين المارونيين، بل على العكس، ظهر «حزب الله» في جنوب لبنان، وقويت شوكة المقاومة اللبنانية.

وكان بن غوريون قد بدأ باتجاه الدعوة إلى تحالف الأقليات في الشرق الأوسط بما فيها الأتراك، والفرس، والدروز، والكرد، والأمازيغيون، في المغرب العربي والمسيحيون الموارنة في لبنان، والأقباط في مصر، بالإضافة إلى اليهود وغيرهم من الأقليات الأخرى المنتشرة في العراق. وقال بن غوريون، إن العرب في منطقة الشرق الأوسط ليسوا هم الأكثرية، ومن الضروري تشجيع جميع الرغبات في الاستقلال لهذه الأقليات، وخلق جزر في مواجهة دعوة القومية العربية، التي كان يتبناها في ذلك الوقت حزب البعث، ومن بعده عبدالناصر.

5- وزادت إسرائيل تعاونها وانفتاحها على إيران بخطوات مثيلة نحو أثيوبيا وتركيا، من أجل تقوية الردع الإسرائيلي، والحدّ من عزلتها، ولكي تُظهر لأميركا مدى أهميتها وثقلها، في منطقة الشرق الأوسط.

واستمرت هذه العلاقات تتطور وتقوى، بين إسرائيل وإيران الخمينية، خصوصا أثناء الحرب العراقية الإيرانية 1980.

ويقول اليستر كروك المستشار الخاص السابق لخافيير سولانا (1999-2002) والعضو السابق في «لجنة ميتشل» التي شكّلها الرئيس الأميركي كلينتون للتحقيق في أسباب اندلاع الانتفاضة الثانية في فلسطين المحتلة عام 2000، في مقال له في مجلة (اللوموند ديبلوماتيك، عدد28، شباط/فبراير 2009) تحت عنوان «عندما كانت إسرائيل وإيران تتحالفان سراً»: من المعروف أن التعاون الإسرائيلي-الإيراني في بداية الحرب العراقية-الإيرانية عام 1980، كان واضحاً وقوياً خصوصا في المجال العسكري والتدريب والتموين، مما أقنع الإيرانيين بمزايا العلاقة مع إسرائيل، خصوصا في المجال العسكري والتسليح، وزاد من قوة هذه العلاقة، عندما قامت إسرائيل بإقناع أميركا بضرورة توريد أسلحة إلى إيران 1980، بما عرف فيما بعد، بفضيحة «إيران غيت»، التي زعزعت حكم الرئيس ريغان رغم تحذير الكونغرس الأميركي، من هذه العملية وغيرها من العمليات المشبوهة، كفضيحة تمويل «الكونترا» في نيكاراغوا.

* كاتب أردني

د. مأمون فندي *

عرب الأرض وعرب الفضاء

مشلكة العرب اليوم هي ليست الفجوة بين الشعوب والحكومات، التي يتحدث عنها البعض، الفجوة الأخطر هي التي نراها اليوم بين عرب الأرض وعرب الفضاء، عرب الواقع المعاش وعرب الفضائيات العربية... عرب الفضائيات ينسجون حولهم عالما وهميا من بطولات خلت، يستحضرون خالد بن الوليد وصلاح الدين، ويدخلون في حروب وهمية مع أعداء بأحجام وهمية أيضا، ومتى ما تركوا أضواء الأستوديوهات، وركب بعضهم سيارته الخاصة، ودخل في اختناق مروري، أو مشى أحدهم من الأستوديو إلى بيته، غرقت قدماه في مياه الشوارع القذرة في مدننا... لا نستطيع إصلاح ماسورة مجاري في الشارع، ونريد أن ندخل حروبا وهمية مع دول عظمى، ويفضل بعضنا البقاء في وهم الشاشة وأضوائها المبهرة على أن يواجه حياته الحقيقية.

وهم الفضائيات يجعلنا نتعلق بالقضايا الكبرى، بصراع الحضارات وبكلام وهمي كبير، بينما واقع الحياة يفرض علينا التعامل مع البطالة والقروض من البنوك لسداد فواتير الحياة اليومية... على أرض الواقع علينا ديون لابد من سدادها، أما على الشاشات، فلا ديون ولا يحزنون، فكلنا أبطال، كاملون مكملون.

حالة الفصام بين عرب الفضاء وعرب الأرض، بين الوهم والحقيقية، تتجلى بوضوح في مصر أكثر من غيرها من الدول العربية، ولهذا أسباب كثيرة يطول شرحها: لدينا اليوم مصران، مصر الفضائية ومصر الأرضية، مصر الأرضية يديرها الرئيس حسني مبارك، أما مصر الفضائية فلها مئة رئيس... كثير من المصريين من مدمني الفضائيات، وهم أشبه بمدمني المخدرات، يحتاجون إلى علاج نفسي، ما إن أعطيت أحدهم ميكروفوناً إلا تحدث باسم الأمة، وفي تلك اللحظة ترتسم على وجهه ملامح الزعامة والقيادة والريادة، ليصبح صاحبنا، أو صاحبتنا، ضيفا كان أو مذيعا أو مذيعة، هو رئيس مصر الفضائية وصانع سياساتها، ولو في برنامج لمدة ساعة أو «تسعون دقيقة»... والغريب أن رئيس مصر الفضائية يصدق نفسه على الهواء، والأغرب أن المذيعة تصدقه وتصدق نفسها أيضا.

شيء ما فينا، اسمه مرض ما، يجعلنا غير راضين بأماكننا ومواقعنا التي نحن فيها، نريد أن نكون شيئا أكبر مما نحن فيه، وهذا المرض رغم تمكنه من فئات كثيرة من الشعب، فإنه أكثر وضوحا في حالة المذيعين والمحللين الفضائيين.

لقد شاهدت المؤتمر الختامي الذي عقده الأمين العام للجامعة العربية بعد قمة الدوحة، واستمعت إلى خطب الصحافيين... فالصحافيون عندنا من جنس آخر غير صحافيي العالم، يخطبون ولا يسألون، وتحدث عراقي عما يجب أن يفعله رئيس الوزراء العراقي نوري المالكي، وما يجب أن تفعله قطر، وتحدثت صحافية مصرية عن رؤيتها لمستقبل العرب، خطب لا أسئلة... أمر مثير للشفقة وللضحك معا، المرء يبدو جادا ومحل احترام عندما يلبس ثوبه ويؤدي دوره بحجمه الطبيعي، أما تضخيم الذات ففيه مبالغة، يتحول فيها الشخص من الحجم العادي إلى حجم مضاعف، ومتى ما تضاعف حجم الإنسان انتقلنا من حالة الحديث عن إنسان طبيعي إلى الحديث عن صورة كاركاتيرية لإنسان، غالبا ما تكون مادة للضحك أكثر من كونها مدعاة للاحترام.

الفضائيات شوهتنا ونقلتنا من حالة الواقع إلى حالة وهمية، من الحجم الطبيعي إلى الحجم الكريكاتيري، وازدادت الفجوة بين عرب الفضاء وعرب الواقع، وكلما زادت الفجوة بين الحقيقة والوهم، كنا نتحدث عن أناس مرضى بالانفصام الشخصي.

في الفضاء وفي الفضائيات نتحدث عن العالم العربي، وعن الجامعة العربية، أما على الأرض، فهي جامعة دول عربية، أي أنها مكان للقاء قادة الدول لا قادة الحركات السياسية، وفي جامعة الدول مثلا هنا مقعد واحد لدولة اسمها لبنان، يحتل هذا المقعد رئيس الجمهورية اللبنانية، أو رئيس الوزراء، أما في الفضائيات فيحتل حسن نصرالله مقعد لبنان، فالواقع شيء والفضائيات شيء آخر.

في الفضائيات كل العرب ضد إسرائيل ومع المقاومة وضد أميركا، وفي الواقع لدى بعض الدول العربية معاهدات سلام، وعلاقات خاصة ومفاوضات غير مباشرة ومكاتب تجارية وتبادل خبرات أمنية وقواعد عسكرية مع أميركا وإسرائيل... نقاوم في عالم الوهم، لكن الواقع يفرض علينا أموراً أخرى، فأنا هنا لا أدين لا المقاومين، ولا المسالمين، كل ما أريد قوله هو أنه لابد لنا، وكي نعيش في مجتمع صحي، أن نضيق الفجوة بين عالم الوهم وعالم الواقع، بين عرب الفضاء وعرب الأرض، إن كنا نريد الشفاء من مرض انفصام الشخصية الذي نعانية، الذي ظهر بصورة أكثر وضوحاً مع ظهور الفضائيات.

المصالحة العربية التي يجب أن نسعى إليها هي مصالحة مع النفس في المقام الأول، لا مصالحة مع الآخر، والخلاف بين الدول العربية ليس مشكلة طالما أن هناك حداً أدنى من التنسيق في السياسات، وليس ضرورياً أن يتحول القادة العرب إلى أصدقاء حتى يمكنهم تحقيق الأهداف، فالمطلوب منهم هو التنسيق والعمل، لا الصداقة، وهذا الخلاف العربي، وهذه الفجوة والجفوة والقطيعة، ليسا هما المشكلة الكبرى، إنما المرض الحقيقي الذي ينخر في جسد الأمة اليوم هو ذلك الفصام في الشخصية، الفجوة بين عرب الفضاء وعرب الواقع، بين عرب يريدون التعامل مع الواقع كما هو على الأرض، وبين عرب يصنعون مشاكل وهمية كبيرة، يناضلون من أجلها في الفضائيات، ضاربين بالواقع عرض الحائط، والأغرب أنه بيننا من المجانين من يصفق لهذا النضال الوهمي.

* مدير برنامج الشرق الأوسط بالمركز الدولي للدراسات السياسية والاستراتيجية IISS

بلال خبيز *

حاملو الخيام والهموم والمرارات

الرئيس الليبي معمر القذافي يحمل خيمته معه أينما حل، لا ينام تحت سقف تظلله غيوم الخلافات العربية-العربية! وعلى نحو ما يحمل الملك عبدالله بن عبدالعزيز، خادم الحرمين الشريفين، هم دفن الخلافات العربية-العربية معه أينما حل أيضاً. بين الحملين ثمة فارق في الثقل طبعاً، إنما أيضاً ثمة فارق لا يستهان به في احتمالات النجاح.

يقولون إن تراجع الأمير حمد بن جاسم عن دعوة مشعل ونجاد قد تجعل مهمة الملك عبدالله بن عبدالعزيز أيسر، لكن ذلك التراجع مثلما هو معلوم، لا يقدم ولا يؤخر في تفصيل السياسات وسبل نجاحها، حتى أجل لا يمكننا تسميته أو تحديده، سيبقى كرسي السيد خالد مشعل في الدوحة ملكاً له، فالذين جلسوا خلفه كانوا يمكلون كراسيهم منذ زمن. هم أنفسهم، مع بعض التجاعيد الزائدة في الوجوه وبعض الزيادات في الشعر الأبيض جلسوا في دمشق خلف انتفاضة «فتح» التي قادها العقيد أبو موسى... لم تكن الكراسي نفسها بالضبط، لكنها كانت بروفة مناسبة للجميع على كيفية حسن الجلوس والابتسام للكاميرات في الدوحة.

اليوم، يجلس محمود عباس على كرسي فلسطين، فكرسي خالد مشعل لم يحمل هذا الاسم، لكنه حمل المسمى نفسه، والكرسي الذي جلس عليه الرئيس الإيراني أحمدي نجاد بقي فارغاً، إنما من يذكر كرسي ياسر عرفات؟

قمة الدوحة تعيد التأكيد على مبادرة السلام العربية التي أطلقها الملك السعودي من بيروت، يوم كان لايزال في ولاية العهد، ففي تلك القمة لو تذكرون، منع الرئيس اللبناني السابق إميل لحود بث كلمة ياسر عرفات المتلفزة عن القادة العرب. وكان أرييل شارون قد منعه أصلاً من مغادرة مقر المقاطعة الذي كان محاصراً بالدبابات الإسرائيلية.

الرئيس اللبناني السابق، هو الرئيس الذي يقول عنه الرئيس السوري بشار الأسد إنه رئيس مجرب وثابت المواقف وذو عزم لا يلين، ومع أن رئيس القمة العربية يومذاك منع بث خطاب الرئيس الفلسطيني المتلفز، إلا أن القمة أسفرت عن تبنّ عربي لمبادرة السلام العربية حيال إسرائيل.

في قمة الدوحة السابقة أعلن الرئيس السوري أن المبادرة العربية ماتت، ثم وبعد أيام في قمة الكويت الاقتصادية أعلن أنها لم تمت تماماً، لكنه أوحى بيأسه من شفائها من أمراضها العضال، والرئيس السوري مازال هو نفسه منذ قمة بيروت، ومازال خالد مشعل يقيم في ضيافته، لديه رئيس فلسطيني بديل، وهو يعده بعناية للوراثة، والأرجح أنه لن يكون مسروراً لجلوس عباس في المقعد الذي يحمل اسم فلسطين. مع ذلك دائماً يقبل الرئيس السوري على مضض، ودائماً يصر على مواقفه ويسعى لتنفيذها... إذن ليس ثمة دفن للخلافات، ولكن ثمة سعي لتنظيمها، على طريقة المصالحات اللبنانية: أنت في موقعك وأنا في موقعي، وما دام أحد لن يقنع الآخر بالتخلي عن موقفه أو تحالفاته، فلندر نوعاً من أدب المجاملات، أقله في الفترة التي تفصل بين إطلاق المبادرات الأميركية والبدء بتنفيذها.

والسياسات التي عمل كل طرف على إرسائها وجاهد لأجل إنجاحها هي الآن في كفة من كفتي الميزان، ونريد أن نرى الوزنة التي ستضعها أميركا في الكفة المقابلة، فربما بعد هذا الجهد كله، تصبح سورية أثقل وزناً من مصر، أو ربما العكس، إذ قد يصبح رئيسها نجم القمة المقبلة على غرار الرئيس البشير في هذه القمة.

في إسرائيل يقولون إن المبادرة العربية لم تعد تسير بقوة دفع مناسبة لتحقيق السلام، فالقوى التي تدعمها ما عادت قادرة على التأثير الجاد والفاعل مثلما كانت من قبل، وهذا يذكّر بمأثرة الرئيس اللبناني في قمة بيروت، فمنع الرئيس الفلسطيني من إلقاء كلمته لم يمنع الزعماء العرب من سماعها قطعاً، لكن هذا الإجراء أوحى أن ثمة خلافاً عميقاً على المبادرة نفسها، وأن ياسر عرفات لم يكن يتمتع باعتراف رسمي عربي حاسم. كان ثمة دائماً مشعل ما خلف الكواليس، فما الذي يجبر إسرائيل على الاعتراف به وهو أحد أكثر أعدائها قوة ودهاءً على الساحة الفلسطينية؟

اليوم الأمير حمد بن جاسم تراجع عن دعوة مشعل ونجاد، والحال لقد تمت دعوة مشعل ونجاد من قبل، وقمة الدوحة السابقة كانت بمنزلة بروفة الاستقبال الفاتر للرئيس عباس في قمة اليوم.

الدول تملك ذاكرة تفصيلية حيال الأحداث، والأرجح أن إسرائيل تسأل نفسها اليوم: لقد سُمح لمحمود عباس بإلقاء كلمة فلسطين في الدوحة، إنما ماذا نفعل حيال كلمة مشعل في القمة السابقة؟ هل نحذفها من السجل؟

الرئيس الليبي يحمل خيمته معه أينما حل، والملك عبدالله بن عبدالعزيز يحمل هم دفن الخلافات العربية-العربية أينما حل، والفلسطينيون يحملون مراراتهم أينما حلوا، والمرء بات يعرف الفلسطيني من حجم المرارة التي تظهر على قسماته، لطالما ابتسم خالد مشعل حتى بانت نواجذه في أحلك الظروف.

* كاتب لبناني

علي بلوط *

هكذا استقبلت طهران «وردة» واشنطن

«إذا أردتَ أن تُربك عدوكَ أكثر... أرسل له وردة»... (مثل قديم)

* * *

مرجع لبناني على علاقة ومعرفة وثيقتين بما يدور داخل العقل الإيراني الحاكم أكّد لي ما يلي:

1 - طهران تلقت رسالة الرئيس الأميركي أوباما بكثير من الفرح الممزوج بالريبة والشك... الفرح لأن الرسالة العلنية منحت إيران واحداً من بنودها الاستراتيجية المهمة مجاناً، ومن دون أي مقابل، وهو الاعتراف بها كقوة إقليمية عظمى في المنطقة، لها وجودها المميز ومصالحها التي قد تساوم عليها. صحيح أن رسالة أوباما لم تشر إلى النظام الحاكم، بل توجهت بمفرداتها إلى الإشادة بعظمة الشعب الإيراني وتاريخه، وهذه نقطة ضعفها، غير أن الصحيح أيضاً أن الرسالة خلت بصورة كاملة من الهجوم على النظام الحاكم ولم تطالب بتغييره كما كان يفعل الرئيس السابق بوش وأركان إدارته، وهذا تقدّم شبه إيجابي يدل على تغيير ملموس في لغة الخطاب السياسي تجاه الجمهورية الإسلامية... هذا بالإضافة إلى أن الرسالة خلت أيضاً من أي ذكر للمشروع النووي الإيراني مما يعطي طهران ما تحتاجه من الوقت لاستكمال مشروعها وفرضه كأمر واقع.

2 - أما الريبة والشك فهما في نوايا الخطاب الرئاسي الأميركي لأن الرسالة نابعة- كالعادة- من عدم الثقة الكاملة بوجود تغيير استراتيجي أميركي تجاه الجمهورية الإسلامية كنظام، ولو كان هذا التغيير موجوداً وجدياً لكان باستطاعة أوباما أن يشير إليه بكلمة أو كلمتين أو فقرة كاملة.

إن القناعة بسلبية واشنطن لم تتغير وإن رسالة أوباما هي أول الغيث في محاولة تحريك الشارع الإيراني ضد حكامه بواسطة بعث روح العظمة القومية لاستجلاب هذا الشارع إلى الصف الأميركي عندما تبدأ بالفعل عملية تغيير النظام من الداخل. وهي خطة يعتقد النظام في طهران أن أوباما قد وافق عليها، وباتت جاهزة بل بدأ تنفيذ بنودها، ونتيجة لهذه القناعة فإن النظام الإيراني أعلن حالة طوارئ صامتة في مختلف أجهزته الأمنية والسياسية، خصوصا أن واشنطن تتحدث اليوم باللغة نفسها التي اخترعها النظام: أن تعلن شيئاً وتضمر نقيضه.

3 - سؤال طرحه أركان النظام على أنفسهم: هل نحن بحاجة إلى دعم الولايات المتحدة، أو غيرها من الدول الغربية، لإكمال مسيرتنا منذ قيام الجمهورية الإسلامية في العام 1979، أم أن الولايات المتحدة خصوصاً، والغرب عموماً، بحاجة إلينا اليوم للتغلب على ما أنتجته المتغيرات الدولية من ضعف أميركي ملموس في القدرة على المستويات العسكرية والاقتصادية والسياسية؟

اشترك أركان النظام في الرد على هذا السؤال الاستراتيجي بالتفصيل ما عدا المرشد الأعلى خامنئي الذي التزم الصمت بغية معرفة اتجاهات أركان نظامه. واكتفى خامنئي بأدنى مستويات الترحيب بدعوة أوباما إلى الحوار وبأعلى مستويات الشك بالنوايا الأميركية.

نتيجة لذلك ظهرت على السطح ثلاث مدارس: الأولى تعتبر أن إيران والولايات المتحدة بحاجة اليوم إلى بعضهما بعضا ولكن بنسب متفاوتة، فإذا أثبت المستقبل القريب صدق النوايا الأميركية، وبالتالي التفاف إدارة أوباما حول دعوته للحوار، بما فيها الجناح الإسرائيلي الذي مازال قوياً بعكس ما تقوله التسريبات الأميركية غير الرسمية... إذا حصل ذلك فإن مصلحة الجمهورية الإسلامية تقتضي الاستجابة للحوار، لأن ذلك يمنحها القدرة على الالتفات إلى مشاريع التنمية الداخلية ورفع مستوى المعيشة، وهي نقطة ضعف كبرى في النظام الإيراني.

وتعطي هذه المدرسة نكهة إيديولوجية دينية لدعم وجهة نظرها فتقول إن رسالة أوباما تدخل في إطار «الانتصارات الإلهية التي ألهمت أوباما على اتخاذ خطوته السلمية تلك»، وفي حال التأكد من صدقيته، وبراءة أهدافه، فإن المصلحة الإيرانية العليا تفرض التجاوب معها، والعمل على تحويلها من كلام نظري إلى فعل عملي.

أما المدرسة الثانية فهي تلتقي مع الأولى في الفوائد الاقتصادية، لكنها تختلف معها في ضرورة التجاوب السريع مع المبادرة الأميركية لسببين: الأول لقناعتها بأن إيران ليست بحاجة إلى الولايات المتحدة اليوم، ولن تكون في الغد أو بعد الغد، وأن سياسة «تقليم أظافر» الشيطان الأكبر يجب أن تستمر بشكل أو بآخر لأننا قاب خطوتين أخيرتين في استكمال هذه المهمة الإلهية. إن ما وصلت إليه إيران اليوم هو من صنع ثورتها وفي ظل محاربة الولايات لها منذ البداية، ومن يسير في هذا الدرب الطويل المليء بالأشواك بمقدوره أن ينهي المسيرة لمصلحته، فلماذا نعطي الولايات المتحدة انتصاراً بعد أن هزمناها طيلة الثلاثين سنة الماضية؟! إذا تبرعنا بهذا الانتصار الذي لا لزوم لمنحه، فإننا بذلك نعطي الولايات المتحدة فرصة البقاء على أبوابنا بما تمثله من قدرة عسكرية ونفوذ كبيرين لدى الجوار، فبقليل من الصبر والثبات نستطيع أن ننهي مسيرتنا بشروطنا لا بشروطهم.

والمدرسة الثالثة ترفض تحليلات المدرستين الأخيرتين وتظهر رأياً «دوغماتياً» متشدداً بأن واشنطن، كانت ولاتزال، الشيطان الأكبر، وهي اليوم ترتدي قناع الملائكة، وترى هذه المدرسة أنه من المستحيل على الإدارة الأميركية أن تعادي إسرائيل، وأن معاداة إسرائيل بالنسبة لنا جزء أساسي من استراتيجيتنا وقناعاتنا واستمرار تمسكنا بمبادئ الثورة التي وضع استراتيجيتها الإمام الراحل الخميني.

هذا في الجانب الإيراني، أما في الجانب الأميركي فإن اللافت للنظر أن رسالة أوباما جاءت خالية من أي إشارة للملفات المعقدة التي تفصلها عن إيران، خصوصا الملف النووي الذي أقامت واشنطن الدنيا ولم تقعدها بعد لإلغاء هذا البرنامج... إن واشنطن تسعى اليوم إلى استدراج طهران إلى القبول بالمرحلة الأولى من فك الاشتباك السياسي كي تستخدمه في معالجة شجون الحرب العراقية والأفغانية، ثم تعود إلى سابق عهدها في رفع شعارات الخطر النووي الوجودي على إسرائيل وربما على العالم بأكمله. لذلك ارتدت دعوة أوباما للحوار لباس حسن النوايا وقفازها الأبيض مع علمها بوجود لائحة طويلة بالمطالب الإيرانية تبدأ بقبول واشنطن العلني بالاستخدام «السلمي» للطاقة النووية، وتنتهي بإعلان الحياد الأميركي الكامل في الصراع العربي الإسرائيلي... ومن هنا بالاستطاعة القول إن مبادرة أوباما ليست أكثر من مناورة تكتيكية هدفها كسب الوقت لتنتهي من ذيول الحرب في العراق وفي أفغانستان وحرب الاقتصاد المتدهور.

في عددها الصادر في 16 فبراير 2009 كتبت مجلة «نيوزويك» القريبة من الخارجية الأميركية تقول: «... إن إيران تسير بخطوات حثيثة وسريعة لدخول النادي الذري الدولي. وفي الأسبوع الماضي أطلقت بنجاح قمراً اصطناعياً أخذ مداره فوق أراضي الولايات المتحدة". ثم استصرخت المجلة بعض كبار الموظفين في السفارة الأميركية في طهران الذين شهدوا حصار الطلاب لها على مدى 444 يوماً، فذكرت على لسان أحدهم: «علينا أن نتحدث إلى هؤلاء الناس (الإيرانيون) حتى نفهمهم على حقيقتهم وعلينا أن نعرف أولاً مدى استعدادهم للتحدث معنا بلغة العقل لا بلغة السياسة والمراوغة... وإذا ذهبنا إلى المفاوضات تحت تأثير أن الفريق الآخر هو مجنون وعنيف وغير واقعي فإننا لن نصل إلى أي نتيجة والأفضل ألا نذهب... كذلك فإن تصريحات نجاد ضدّ إسرائيل تزيد النيران اشتعالاً. إنه يطالب أوباما بالاعتذار أولاً على الجرائم التي ارتكبتها الإدارات الأميركية ضد الشعب الإيراني منذ عام 1953، عندما دعمت واشنطن قيام انقلاب في طهران (تشير المجلة إلى الانقلاب على انقلاب مصدّق وإعادة الشاه إلى عرش الطاووس) فعندما ينشر أحمدي نجاد غسيله القديم ويطالب بالاعتذار بمفعول رجعي فإن الرجل يكون قد فقد عقله... إن ما يفصلنا عن طهران تاريخ طويل من الغضب والحقد والحزن وعلينا أن نتعامل مع هذه العناصر النفسية قبل أن نجلس معهم حول طاولة المفاوضات. وفي أي حالة لن يكون هناك مصافحة حارة قريباً".

وتختم «النيوزويك» بتقديم نصيحة إلى إدارة أوباما بضرورة طرح ملف الأمن الإقليمي في البداية الذي يشمل العراق وأفغانستان وتقول: «لقد نجحنا مع إيران في السابق، لكن هناك فريق في الداخل الإيراني وآخر في الداخل الأميركي لا يريدان للمحادثات المستقبلية أن تنجح... وفي طهران اليوم من يعتبر، عن قناعة راسخة، أن سياسة المواجهة مع واشنطن هي سياسة ناجحة ويجب الاستمرار بها»... وبعد، هل هناك من يراهن على نجاح مبادرة أوباما؟!

* كاتب لبناني